بَلاغَةُ الحِجَاجِ القُرْآنِيِّ
في قِصَّةِ عيسى (عليهِ السلامُ)

دكتورة

وديدة عبد الظاهر السيد الشناوي

مدرس البلاغة والنقد في الكلية

٢٠١٦-٢٠١٧م

الإهداء

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

مقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلقِ أجمعين، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ومَنْ تبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ،

فإنَّ الدراساتِ البلاغيةَ الحديثةَ لها امتدادٌ في بلاغتنا العربية، فما من ظاهرةٍ نادى بها أصحابُ غيرِ اللسانِ العربيِّ إلا ولها حظٌّ في دراساتنا العربية الأصيلة، ومن ذلك نظرية الحجاج، تلك النظرية التي لها أصول في تراثنا العربي، لا سيما نظم القرآن الكريم وبيان السنة النبوية المطهرة، فالحجاج قديمٌ قِدَمَ اللسانِ العربيِ، وبهذا الفن الجليل أمدّ الله أنبياءه لمَحَاجَّةِ أقوامِهِم، ودحض الشبه، والأقوال المزعومة، والادّعاءات الكاذبة والمضللة، والأباطيل المفتراة، فمن حكمة إرسال الرسل إقامة الحجة على الخلق، حتى لا يحتج أحد على الله، فيقول: ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه:١٣٤]، فقطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم، وصحة نبوتهم وسلامة طريقتهم.

وإتمامًا لإقامة الحجة بالرسل على الخلق أيد اللهُ رسلَهُ بالآياتِ المبيناتِ الدالةِ على صدقِهم، وأنهم رسلُ اللهِ حقًّا، فاصطفى اللهُ مِن الناسِ مَنْ يعلم أنه أهلٌ للرسالة وكفؤٌ لها، ومستطيعٌ للقيام بأعبائها، والصبرِ على مكائدِ أعدائها، قال -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]، وقال -جل شأنه-: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وأيدهم الله -

تعالى- بالمعجزات والآيات البينات التي لا تدع مجالا للشك في صدق ما جاء به الرسولُ المرسَلُ، قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وذلك صيانة -أيضًا- لمنزلة الرسالة من ادعاء أهل الأهواء والافتراء على الله – تعالى- بتلقي الوحي منه.

ومادة الحجاج في القرآن الكريم ظاهرةٌ، وقد "أخرج الله -تعالى- مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم، وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء"(١).

وقد وقع الحجاجُ في قصة عيسى عليه السلام بآياتٍ تُثْبِتُ رسالتَهُ وعُبوديَّتَهُ للهِ -تعالى-، وتنفي قتلَهُ وصَلْبَهُ، وتُحاجِجُ مَنِ ادَّعى ألوهيَّتَهُ أو بُنُوَّتَه، وسوف أتناول بعضًا من هذه الآياتِ الكريمةَ بالدراسةِ البلاغيةِ الحِجاجيَّةِ في هذا البحث الذي عنوانه:

(بَلاغَةُ الحِجَاجِ القُرْآنِيِّ فِي قِصَّةِ عيسى -عليهِ السلامُ-).

والهدفُ من هذه الدراسة هو إثباتُ إعجازِ بلاغةِ القرآنِ الكريمِ في محاجَّة الادعاءات، والرد على الافتراءات على رسول الله عيسى عليه السلام، وذلك من خلال تبيين معنى الحجاج، وذكر بعضِ الآيات التي تناولت قصة عيسى عليه السلام، وكان فيها شبهةٌ أو ادعاءٌ، ثمَّ تحليلها بلاغيًا، وإظهار آليات الحجاج التي اعتمد عليها القرآنُ الكريمُ في المحاجة عن عيسى عليه السلام الذي أرسله الله –عز وجل- إلى بني إسرائيل، داعيًا إياهم إلى توحيد الله ﷻ، وإفراده وحده بالعبودية.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢/ ١٣٥، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

خطةُ البحثِ:

قسَّمتُ البحثَ إلى مقدِّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحثَ، ثمَّ الخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- **تمهيدٌ في تعريف الحجاج.**
- **المبحثُ الأول: حجاج القرآن لإثبات بشرية عيسى عليه السلام، وفيه:**

أولا: حجاج القرآن حول إثبات معجزة ولادة المسيح من دون أب.

ثانيًا: إثبات أن ولادة عيسى عليه السلام من دون أبٍ مساوٍ للإعجاز في خلق آدم عليه السلام دون أبٍ ولا أم.

- **المبحث الثاني: ادعاء ألوهية عيسى عليه السلام والرد عليه.**
- **المبحث الثالث: آيات الحجاج الواردة في إبطال معتقد النصارى في صلب المسيح وقيامته.**
- **الخاتمة: ذكرتُ فيها أهمَّ النتائجِ التي توصَّلْتُ إليها في هذا البحث.**

*** * ***

الإهداء

تمهيدٌ في تعريف الحجاج:

الحجاج في اللغة

أورد ابن منظور عدة اشتقاقات لمادة (حجج)، منها:

"الْحَـجُّ: الْقَصْـدُ. حَـجَّ إِلَيْنَـا فُـلانٌ أَيْ قَـدِمَ، وَحَجَّـهُ يَحُجُّـهُ حَجًّـا: قَصَـدَهُ. وَحَجَجْتُ فُلانًا وَاعْتَمَدْتُهُ أَيْ قَصَدْتُهُ. وَرَجُلٌ مَحْجُوجٌ أَيْ مَقْصُودٌ. وَقَدْ حَجَّ بَنُو فُلانٍ فُلانًا إِذَا أَطَالُوا الاخْتِلافَ إِلَيْهِ.

وَالْحُجَّةُ: الْبُرْهَانُ؛ وَقِيلَ: الْحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: الْحُجَّـةُ الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أَيْ جَدِلٌ.

وَالتَّحَـاجُّ: التَّخَاصُـمُ، وَجَمْـعُ الْحُجَّـةِ: حُجَـجٌ وَحِجَـاجٌ. وَحَاجَّـهُ مُحَاجَّـةً وَحِجَاجًا: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ، وَحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ"(١).

وهذه الاشتقاقات كلها تتلاقى وتتقارب في معنى الحجاج اللغوي الذي يدور حول القصد، والبرهان، والجدل، والتخاصم، والغلبة بالحجة.

وعرف الجرجاني الحجة بقوله: "الحُجَّة ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل الحُجَّة والدليل واحدٌ"(٢).

وأوردَ أبو هلال العسكري في تعريفِها: "الحُجَّة هي الاستقامة في النظر، والمضي فيه على سَنَنٍ مستقيمٍ من ردِّ الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذةٌ من الحجة وهي الطريق المستقيم... والحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد، حجج يحج، إذا استقام في قصده"(٣).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (حجج)، دار المعارف- القاهرة.

(٢) التعريفات للجرجاني، تحقيق: محمد علي أبو العباس، باب الحاء- فصل الجيم، ٨٧، مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٣م .

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ٧٠ بتصرف، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة، ١٩٩٨م.

الحجاج في اصطلاح علماء البلاغة

بالنظر إلى ما كتبه علماء البلاغة السابقون عن الحجاج، نجد أنهم لم ينصوا على مصطلح الحجاج بهذه الصيغة (حجاج)، وإنما ذكروه بصيغ أخرى، كابن أبي الاصبع المصري الذي سماه بالمذهب الكلامي، وقال في تعريفه: هو "احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام"(١).

وذكره الإمامُ عبدُ القاهر الجرجانيّ بلفظ الاحتجاج العقلي(٢).

هذا، والحجاج كائنٌ ثابتٌ في كل العلوم، فمنه الفقهي، والمنطقي، والفلسفي، والنحوي، والبلاغي ... وغير ذلك، ويعنى بالحجاج البلاغي – كما ذهب إليه أحد الباحثين– (مقابلة الادعاء أو ما في معناه، بقوي الحجة وصحيح البرهان، فهو عمليةٌ عقليةٌ ذاتُ دوافعَ مؤثرةٍ، تقدم بيانًا واضحًا، وبرهانًا صحيحًا، يقف أمامه الخصمُ عاجزًا)(٣).

والحجاج كذلك (هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها)(٤).

---

(١) بديع القرآن لابن أبي الاصبع المصري (٥٨٥- ٦٥٤هـ)، ٣٨، تحقيق د/ حفني محمد شرف، ط٢، دار نهضة مصر للطباعة.

(٢) ينظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، صـ٣٤٨، تحقيق محمود شاكر، ط٢، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٣) بلاغة الحجاج النبوي في صحيح مسلم، د/ عبد المحسن محمود أحمد منصور، صـ ٢٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، ٢٠١٤م.

(٤) اللغة والحجاج، د/ أبو بكر العزاوي، صـ ١٦، العمدة للطباعة - الدار

وتتمثل أهمية الحجاج في أنه (السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، والمعوج من المستقيم)([1]).

* * *

البيضاء، المغرب ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي (٤٠٣- ٤٧٤هـ)، تحقيق عبد المجيد التركي، ٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

الإهداء

المبحث الأول

حجاج القرآن لإثبات بشرية عيسى -عليه السلام-

أولا: حجاج القرآن حول إثبات معجزة ولادة المسيح من دون أب.

ورد في البيان القرآني أن نسب نبي الله عيسى عليه السلام يرجع إلى مريم ابنة عمران، المرأة العذراء التقية الصفية، التي اختارها الله ﷻ واصطفاها وميزها على سائر نساء العالمين، قال -تعالى-: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: ٤٢]، وذلك باختصاصها بهذه المعجزة الكبرى وهي ولادة عيسى عليه السلام من دون أبٍ، ودون أن يمسها بشر(١).

ولقد ادَّعى اليهود وافتروا فريةً عظيمة على عيسى عليه السلام بأنه ابن امرأة زانية، فحاجَّهم الله ﷻ في ادعائهم، على لسان عيسى عليه السلام، كما سيتضح من خلال تحليل الآيات الآتية قيد الدعوى.

الآيات موضع هذه الدعوى:

قال الله -تعالى-: ﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ ﴾[مريم: ٢٩ – ٣٣].

المعنى الإجمالي للآيات:

أي أتت مريمُ البتولُ بابنها عيسى، حال كونها تحمله طفلا إلى قومها، وقد أخذتهم الدهشة والحيرة والعجبُ، لما يعرفونه عنها من طيب منبتِ أهلها وطهارتهم، وقالوا لها -على سبيل التهكم والاستنكار والاتهام-: يا

(١) ينظر مشكلات العقيدة النصرانية، د/ سعد الدين صالح، ٣٩، بتصرف، دار الأرقم للطباعة، الزقازيق، ط٣، ١٩٩٢م .

مريم لقد جئتِ بشيءٍ عظيمٍ منكرٍ، فما كان أبوكِ رجلَ سوءٍ، وما كانت أمكِ من البغايا، فعقبت مريم على قولهم مدافعةً عن نفسها بأن أشارت إلى وليدها، ليسألوه فيكلمهم، لكنهم ردوا متسائلين مستنكرين: كيف نتكلمُ ونتحدثُ مع طفلٍ في المهد؟.

التحليل البلاغي للآيات:

أول ما يطالعنا من بلاغة هذه الآيات الكريمة تصدرها بفاء التعقيب والترتيب،(التي تفيد الاتصال، وتطوي الزمن الطويل)(١)؛ للدلالة على أن مريم العذراء قد أتت قومها بعد ولادتها لعيسى مباشرةً.

وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ حيث قدّم متعلق الفعل وهو الجار والمجرور (به) على المفعول به (قومها)؛ لأنَّ التقديمَ هو "مصبُّ المعنى"(٢)، فالكلام عن الطفل عيسى هو الأساسُ القائمُ عليه الحوار.

وجملة ﴿تَحۡمِلُهُۥ﴾ حالٌ، وهو قيدٌ في التركيب؛ "للدلالة على أنَّ مريم أتت معلنة بولدها غير ساترة؛ لأنها قد علمت أن الله سيبرئها ممّا يُتهم به مِثل من جاء في حالتها"(٣)، و"الحال من العناصر الشارحة التي تعدُّ من عوامل إيضاح المعاني وتحديدها"(٤).

---

(١) من أسرار حروف العطف، د/ محمد الأمين الخضري،٥٠، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) قراءة في الأدب القديم، د/ محمد محمد أبو موسى، ١٦٥، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ٩٣/١٧، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.

(٤) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ١٨٨، ط٦، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م.

والتعبير بالفعل المضارع (تحمل) يحكي ويصوِّر الحال الماضية التي كانت عليها مريم –عليها السلام–.

وجملة ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ﴾ مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، فهي مفصولةٌ عما قبلها لشبه كمال الاتصال، وقال قومها–أي مريم– هذه المقولة؛ توبيخًا لها، وبدا هذا التوبيخُ جليًّا في ندائهم لها بحرف النداء (يا) الموضوع للبعيد، مع أنَّ مريم البتول ليست بعيدةً عنهم، وإنما استُعملَ نداءُ البعيدِ بدل القريب؛ لأن المقام هنا مقامُ تعجبٍ واستنكارٍ من قوم مريم لها؛ إذ أتت بشيءٍ عظيمٍ.

﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾

أي: لقد جئت (بشيءٍ عظيمٍ منكرٍ، كالآتي بالشيء يفتريه)[1]، و"الفريُّ فعيل من (فري)، ولهذا اللفظ عدة إطلاقات، وأظهر محامله هنا أنه التشنيع في السوء، وهو جاءٍ من مادة افتَرى إذا كذب؛ لأن المرأة تنسب ولدها الذي حملت به من زنى إلى زوجها كذباً"[2].

وقد بنوا افتراءهم على فعلية الجملة وتأكيدها بلام القسم، وبالحرف (قد) الدال على تحقق الوقوع، والفعل الماضي ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ﴾؛ ليدل على تأكيد توبيخهم لمريم –عليها السلام– وشدة إنكارهم لفعلها.

وزيادة في التوبيخ والإنكار أتوا بمعمول الفعل (شيئًا) منكرًا؛ ليدل على شدة إنكارهم لفعلها وتهويلهم من شأنه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ت ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى السيد محمد، وآخرون، ٩/ ٢٤٤، مؤسسة قرطبة- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٩٥/١٧.

ثم وصف هذا الشيء بالفري؛ زيادةً في الإبانة والتوضيح، والتأكيد على الإنكار والتوبيخ من قومها لها، و(فريًا) يعني "عجبًا فائقًا"(١).

ثم زادوا في توبيخها، فقالوا:

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾

(هذه الجملة فيها تكريرٌ لما تقدم من التعيير والتوبيخ، وتنبيهٌ على أن الفاحشة في ذرية الصالحين مما لا ينبغي أن تكون)(٢).

أي يا أخت هارون في صلاحه وحسن سيرته ما كان ينبغي لأختٍ مثله أن تفعل هذا الفعل.

وقد فُصلت هذه الجملة عن سابقتها؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال، فهي مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، لتأكيد مضمون الجملة السابقة.

و"فائدة الجمع بين الأب والأم مع اتصال كاف الخطاب فيهما ﴿أَبُوكِ.. .أُمُّكِ﴾؛ لينفي الله ﷻ عنها الشبهة على لسان قومها، فهي طاهرةٌ عفيفةٌ، طيبة الأصل، والتصريح بالأبوين لتقرير مبدأ طهارة تلك الأسرة، فالعفة ليست في مريم وحدها"(٣)، بل هي سارية من الأصل إلى الفرع،

---

(١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، ١٦٠، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

(٢) فتح القدير الجامع بين فنَّي الروايةِ والدِّرايةِ من علمِ التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكانيّ ت١٢٥٠هـ، ١/ ٨٨٩، دار المعرفة بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) المستوى البلاغي في سورة مريم، د/ فيصل حسين طحيمر غوادرة، ٦٤٢، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، يناير، ٢٠٠٩م.

فطهارة الفرع من طهارة الأصل.

والطباق بين ﴿ أَبُوكِ.. .أُمُّكِ ﴾ جاء لتقرير وتأكيد عفة مريم وطهارتها وصفائها بطهارة وعفة أبويها.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾

الفاء للتعقيب بلا مهلة، وترتيب الأحداث وتواليها، وفصل جملة "قالوا"؛ لشبه كمال الاتصال، فهذه الجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ تقديره: ماذا قالوا؟.

والاستفهام في قوله: "كيف" للتعجب والإنكار من كلام الصبي في المهد.

والتعبير بالفعل الماضي "كان" يُسجِّلُ مزيدًا من تأكيدِ استحالةِ كونِ الصبيِّ يتكلم في المهدِ.

الحجاج البلاغي لهذه الدعوى:

لما ادعى اليهود الفاحشة على أم المسيح -عليه السلام- أنطقه الله ﷻ وهو طفل صغير للرد عليهم ومحاجتهم بالبرهانِ؛ لعلهم يقتنعوا بكلامه، (فأراد الله ﷻ أن يلفت نظرهم لفتة قوية إلى قدرته وعظمته، فكانت ولادة عيسى عليه السلام معجزة، حتى يقتنعوا بكلامه، ويثوبوا إلى رشدهم، ولذلك أراد الله ﷻ أن يضاعف المعجزة، فأنطق عيسى وهو طفل، وكان أول نطقه هو هداية اليهود إلى عبادة الإله الواحد[1]).

حيث يقول الله ﷻ على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا

(١) ينظر مشكلات العقيدة النصرانية، للدكتور/ سعد الدين صالح، صـ(٨٥) بتصرف.

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾[مريم: ٣٠، ٣٣].

وبهاتين الآيتين "أراد الله ﷻ أن يلفت نظر اليهود إلى نبوة عيسى عليه السلام عن طريق إعطائه معجزتين؛ الأولى: خلقه من دون أب، والأخرى نطقه وهو طفل صغير، وذلك لكي يصدقوه عند تبليغ رسالته"(١).

وأوَّلُ ما يطالعنا من بلاغةِ هذه الآيات الكريمة الفصلُ لشبه كمال الاتصال؛ حيث فصلت جملة (قال) عما قبلها؛ لاستئنافها استئنافًا بيانيًّا، فهي جوابٌ لسؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: ماذا حدث بعد ذلك؟.

وتتجلى بلاغة حذف المسند إليه في قوله: (قال)، أي قال عيسى؛ للمبادرةِ إلى المطلوبِ من تأكيدِ عبودية عيسى عليه السلام لله ﷻ، وإثباتِ بشريتِهِ، هذا التأكيد الذي هو محلُّ عنايةٍ واهتمامٍ، والمسند إليه معلومٌ من السياق، وللاهتمام بشأن المسند في ذاته، وهو القول الصادر من الصبي في المهد، هذا القول الذي حاجَّ اليهودَ في ادعائهم، وأبهتهم في افترائِهم، وأثبت معجزةَ خلقِ الله ﷻ لعيسى من دون أبٍ، وأقرَّ عبوديَّتَه لله ﷻ.

قوله: ﴿ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ عبَّر بإن واسمية الجملة، فأتى الخبر مؤكدًا على خلاف مقتضى الظاهر؛ إذ إن مقتضى الظاهر أن يقول: أنا عبد الله، لكنه أكد كلامه بإن التي تؤكد حتمية ارتباط الخبر بالمبتدأ، والاهتمام بشأن هذا الخبر، ليدل على براءة مريم من تهمتها التي رماها بها اليهود، وإثبات وتأكيد عبودية عيسى عليه السلام لله ﷻ.

وإضافة (عبد) إلى لفظ الجلالة فيه من التشريف والتعظيم ما يقرِّرُ ثبوتَ

(١) السابق ذاته.

عبودية عيسى عليه السلام وبشريته.

وقوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ " نصٌّ من عيسى عليه السلام على إثبات عبودية نفسِهِ للهِ، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله ﷻ أولى من إزالة التهمة عن الأم، والتَّكلُّمُ بإزالة هذه التهمة عن الله ﷻ يفيد إزالة التهمة عن الأم؛ لأن الله ﷻ لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة، وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم فلا يفيد إزالة التهمة عن الله، فكان الاشتغال بذلك أولى"(١).

قوله: ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ من خروج الكلام -أيضًا- على خلاف مقتضى الظاهر؛ حيث عبر عن المستقبل بلفظ الماضي الدال على تحقق الوقوع؛ ليؤكد معجزة عيسى عليه السلام، وتحقق وقوع هذه الأفعال منه بعد ذلك، لتكون دليلا على صدق نبوته، و(الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد، كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها) (٢).

وفي قوله: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ تنكير يفيد التفخيم والتعظيم وشمول جميع أنواع البر، وتقييد الوصف (برًّا) بالجار والمجرور (بوالدتي) دليلٌ على تأكيد نبوة عيسى عليه السلام عن طريق معجزته بولادته من أمٍّ دون أب، ففيه

(١) التفسير الكبير، للإمام العلامة فخر الدين الرازي،٢١/٢١٠ بتصرف، دار الكتب العلمية- بيروت،٢٠٠٤ هـ- ١٤٢٥ م.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير(٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،٢/ ٢٣٦، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

"بيانُ محلِّ البرِّ، وأنه لا والد له، وبهذا القول برَّأها قومُها"(١).

قوله-تعالى-: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ عرَّف المسند إليه (وَالسَّلامُ) بأل التي لِلْجِنْسِ، و"هذا التعْرِيفُ تَعْرِيضٌ بِلعنَةِ مُتَّهِمِي مَرْيَمَ وابنِها وَأَعْدَائِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللامَ لِلْجِنْسِ، فَإِذَا قَالَ عيسى: وَجِنْسُ السَّلامِ عَلَيَّ خَاصَّةً، فَقَدْ عَرَّضَ بِأَنَّ ضِدَّهُ عَلَيْكُمْ"(٢).

وفي قوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾ قصرُ صفةٍ على موصوف، للاهتمام بشأن عيسى وتخصيصه بالسلام.

وتتجلى بلاغة التقسيم وبراعته في قوله -تعالى- على لسان عيسى -عليه السلام-: ٱيوتتجلى بلاغة أسلوب التقسيم في قوله -تعالى-:

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾

فعيسى عليه السلام يدعو ويطلب السلام يوم مولده ويوم مماته ويوم بعثه، وأسلوب التقسيم (ينبئ عن الدقة في الكلام وتسلسل الأفكار وارتباط المعنى؛ مما يجعل السامع يتابع الخبر باهتمام، حتى يقف على ما يذكر لكلِّ قسم، فيقع في نفسه موقعًا حسنًا، ويثبت في قلبه ثبوتًا لطيفًا)(٣).

---

(١) تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي المتوفى سنة٧٤٥هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، وآخرون ٦/ ١٨٧، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢) السابق ذاته.

(٣) وشي الربيع بألوان البديع، د/ عائشة حسين فريد، صـ ٩١، ٩٢، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

وَ"هَكَذَا أعلن عِيسَى عليه السلام عُبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ، ... وأعلن أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ نَبِيًّا، لا وَلَدًا وَلا شَرِيكًا، وَبَارَكَ فِيهِ، وَأَوْصَاهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مُدَّةَ حَيَّاتِهِ، وَالْبِرّ بِوَالِدَتِهِ وَالتَّوَاضُع مَعَ عَشِيرَتِهِ، فَلَهُ إِذَن حَيَاةٌ مَحْدُودَةٌ ذَاتُ أَمَدٍ، وَهُوَ يَمُوتُ وَيُبْعَثُ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ السَّلامَ وَالأَمانَ وَالطُّمَأْنِينَةَ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، وَالنَّصُّ صَرِيحٌ هُنَا فِي مَوْتِ عِيسَى وَبَعْثِهِ، وَهُوَ لا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلا فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَلا جِدَالا"(١).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤﴾ [مريم: ٣٤].

"اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْجُمَلِ الْمَقُولَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ. . .﴾، أَيْ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ هُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، لا كَمَا تَزْعُمُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ .

وتعريف المسند إليه باسم الإشارة (ذلك) لتمييزه أكمل تمييز؛ اهتمامًا بشأنه، وتأكيدًا بإثبات الوصف له؛ "تَعْرِيضًا بِالرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعًا، إِذْ أَنْزَلَهُ الْيَهُودُ إِلَى حَضِيضِ الْجُنَاةِ، وَرَفَعَهُ لنَّصَارَى إِلَى مَقَامِ الإِلَهِيَّةِ، وَكِلاهُمَا مُخْطِئٌ مُبْطِلٌ، أَيْ ذَلِكَ هُوَ عِيسَى بِالْحَقِّ، وَأَمَّا مَنْ تَصِفُونَهُ فَلَيْسَ هُوَ عِيسَى؛ لأَنَّ اسْتِحْضَارَ الشَّخْصِ بِصِفَاتٍ غَيْرِ صِفَاتِهِ تَبْدِيلٌ لِشَخْصِيَّتِهِ، فَلَمَّا وَصَفُوهُ بِغَيْرِ مَا هُوَ صِفَتُهُ جُعِلُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لا يَعْرِفُونَ، فَاجْتُلِبَ اسْمُ الإِشَارَةِ لِيَتَمَيَّزَ الْمَوْصُوفُ أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ عِنْدَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٣٠٨، بتصرف، دار الشروق – القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

(٢) وَالْمَقْصُودُ بِالتَّمْيِيزِ تَمْيِيزُ صِفَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ عَنِ الصِّفَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي أَلْصَقُوهَا بِهِ، لا تَمْيِيزَ ذَاتِهِ عَنِ الذَّوَاتِ؛ إِذْ لَيْسَتْ ذَاتُهُ بِحَاضِرَةٍ وَقْتَ نُزُولِ

وفي الإشارة بـ(ذلك) للبعيد؛ دلالةٌ على تعظيم المسند إليه، وعلو منزلته وبعد مكانته.

وتعريف المسند ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ بالعلمية؛ للإشارة بذلك إلى المولود الذي ولدته مريم المتصف بتلك الأوصاف الجليلة، والمقصود ثبوت بنوته من مريم خاصة من غير أب، فليس بابن لله ﷻ -كما يزعم النصارى-، ولا لغيره -كما يزعم اليهود-.

قوله -تعالى-: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ على قراءة النصب مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة (ذلك عيسى ابن مريم)[1].

وقوله: ﴿يَمْتَرُونَ﴾ المِرْية التردد في الأمر، وهو أخص من الشك، والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه من مِرْية[2].

واستمرارًا في الحجاج البلاغيّ لهذه الدعوى المفتراة، يقول الله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[مريم: ٣٤].

عبَّر القرآنُ الكريمُ بالفعل الماضي (كان) المنفيِّ بـ(ما)؛ لدفع توهُّمِ الاحتياجِ -أي حاجة الله ﷻ إلى الولد- في الماضي، فكما ثبت عدمُ

الآيَةِ، أَيْ تِلْكَ حَقِيقَةُ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ -وَصِفَتُهُ" ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ١٠٢/١٧.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآنِ بالقرآن، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ٤/ ٣٤٦، دار عالم الفوائد، د.ت.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق مصطفى العدوي، ٥٩٠، مكتبة فياض – المنصورة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

العوزِ والاحتياجِ للولد في الزمن الماضي؛ فكذلك لا يجوزُ في الحالِ والاستقبالِ، فالذي ثبتت وحدانيتُه وقدرتُه المطلقةُ في الماضي، واستحال أن يتصفَ بالحاجةِ إلى غيرِه، ففي الحال والاستقبالِ من بابِ أولى.

فلفظ "﴿ مَا كَانَ ﴾ يدلُّ هنا على التنزيه، ولذلك أعقبه الله ﷻ بقوله: ﴿سُبْحَانَهُۥٓ ﴾، أي تنزيهًا له عن اتخاذ الولد، وكل ما لا يليق بكماله وجلاله، فقوله: (ما كان لله) بمعنى لا يصح ولا يتأتى ولا يتصور في حقه ﷻ أن يتخذ ولدًا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا"(١).

والتعبيرُ بالمصدرِ المؤول (أن يتخذ)؛ أبلغُ في إثباتِ دفعِ توهم الاحتياج حالا أو مستقبلا.

وكما تقرر أنَّ صفاتِ الله قديمةٌ، فإنَّ الله ﷻ نفى ما يشوبُ تنزيهَ قدرتِهِ ﷻ من الاحتياج أو العجز الذي يُلْجِئُ المخلوقين إلى الولدِ، فالقِدَمُ أكَّدَهُ التعبيرُ بـ(كان)، ولأنَّهُ -جلَّتْ قُدرتُهُ- لا يطرأ على صفاتِهِ عدمٌ؛ عبر عن ذلك بالمصدر المؤول(أن يتخذ)، ثم عقَّب بلفظ التنزيه في قوله: ﴿سُبْحَانَهُۥٓ ﴾، الذي تفرَّد به الله ﷻ، ولم ينازعه فيه أحدٌ.

قوله -تعالى-: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ القضاء هنا بمعنى التقدير، فالقلم جرى بما هو كائنٌ، كما ثبت في الحديث القدسي: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ"(٢).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآنِ بالقرآن، ٤/ ٣٤٨.
(٢) رواه عبادة بن الصامت، جامع الترمذي، حديث رقم ٢٠٨١.

ونكَّر النظمُ القرآنيُّ (أمرًا)؛ للدلالةِ على شمولِ علمِ الله ﷻ بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، فهو -سبحانه- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وفي الآية ردٌّ على مَنْ أنكر علمَ الله -تعالى- بالجزئيات، فلفظ (أمرًا) يشمل الجزئيات والكليات.

وبهذه الآية ردَّ الله ﷻ على النصارى، وحاجَّهم في زعمهم الباطل المُحال (عيسى ابن الله).

ويلاحظ أن السياق القرآني قد استخدم ألوانًا عديدة من الأساليب البلاغية للتأكيد على عظم القضية التي تعالجها الآيات، فكلما كان المرض شديدًا تعددت الأدواء، ولا شيء أكثر مرضًا من سقمٍ يمس العقيدة الصحيحة؛ لذا كان تعدد الأدواء من باب التأكد من استئصال المرض من العقول.

* * *

ثانيًا: إثبات أن ولادة عيسى عليه السلام من دون أبٍ مساوٍ للإعجاز في خلق آدم عليه السلام دون أبٍ ولا أم

لمَّا كانت ولادةُ عيسى عليه السلام من دونِ أبٍ مثارَ اتهامٍ من اليهودِ لمريم-عليها السلام-، أراد الله ﷻ أن ينفيَ عنها الشبهةَ، ولمَّا أخطأ النصارى، وغالوا في عيسى -عليه السلام-، ونسبوا أُبوَّتَه لله -سبحانه-، فكانت المسألةُ مثارَ جدلٍ عقديٍّ بين اليهود والنصارى؛ فاليهودُ قومٌ ماديُّون، لا يؤمنون بالمعجزة، والنصارى قومٌ مُغالون؛ حاجَّهُمُ القرآنُ بما ينفي بُنُوَّةَ المسيح لله -سبحانه-، وبما يُثبتُ قدرةَ الله-تعالى- في خلقه، فقال -جل شأنه-:

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن﴾ ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ

ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ
خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ
ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا
وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٥٨ – ٦١].

المشارُ إليه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ﴾ هو نبأُ عيسى –عليه السلام–.

وتتجلى بلاغة التعبير بالمسند إليه معرفًا باسم الإشارة الموضوع للبعيد؛ "للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف، وعلى كونِهِ في ظهور الأمر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المُعَايَن"(١).

وفي إسناد الفعل (نتلوه) إلى ضمير العظمة من التشريفِ والتكريمِ ما يناسبُ مقامَ الألوهيَّةِ، وعظمةَ المَتْلُو.

قوله ﷻ ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي "الحجج الدالة على صدق نبوتك إذ أعلمتهم بما لا يعلمه إلا قارئ كتاب، أو معلم ولست بواحد منهما، فلم يبق إلا أنك قد عرفته من طريق الوحي والذكر أي القرآن، الحكيم أي المحكم المتقن نظمه"(٢).

ووصفُ الذكرِ بالحكيمِ من قبيلِ الإسناد المجازي؛ حيثُ أُسند للذكر ما هو لسببه وصاحبه، فهو مجازٌ عقليٌّ علاقته السببية.

قوله ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ

(١) تفسير التحرير والتنوير، م/، ١٠٢/١٧.
(٢) تفسير الألوسي، ١٨٦/٣.

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ جملة استئنافيَّةٌ قويَّةٌ وقعت ردًّا على النصارى واليهود، وحجاجًا لهم، وقدْ بُنيتْ هيئةُ تركيبِها على اسميَّةِ الجملةِ، وتأكيدِها بإنَّ التي تربطُ الخبرَ بالمبتدأِ، وتنفي كلَّ شكٍّ وريبةٍ، والخبرُ شبهُ جملةٍ، مُتْبَعٍ بجملةٍ فعليَّةٍ فسَّرتْهُ وبيَّنتْهُ، وتأكَّدَ هذا التركيبُ بقيودٍ أسهمت في تربيةِ الفائدةِ.

وتشبيهُ عيسى لآدمَ –عليهما السلامُ– في الخلقِ؛ لبيانِ عظمةِ قدرةِ الله – عز وجل–، وأنَّه لا يعجزه شيءٌ.

وقوله ﷻ: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ جملةٌ تفسيريَّة لا محل لها من الإعراب؛ (وقعت تفسيرًا لمثلِ آدم، لا باعتبارِ ما يُعطيه ظاهرُ الجملةِ من كونِهِ قُدر جسدًا من طينٍ ثُم كُون، بل باعتبار المعنى، أي: إن شأنَ عيسى كشأنِ آدمَ في الخروجِ عن مستمر العادةِ وهو التولد بين أبوينِ)[1].

وعلةُ القياس في ضربِ المثلِ إثباتُ قدرةِ اللهِ –سبحانه– في الخلقِ، سواءٌ كان من دونِ أبٍ وأمٍّ كآدم –عليه السلامُ–، أو من أمٍّ دون أبٍ كعيسى – عليه السلامُ–؛ فكلٌّ منهما خُلِقَ بلفظِ (كُنْ)، ففي آدمَ قال اللهُ –تعالى–: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[آل عمران: ٥٩]، وفي عيسى – عليه السلامُ– قال الله –عز وجل–: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

(١) مغني اللبيب، ٦٢/٢.

وبهذه الآية وقعت محاجةُ اليهود والنصارى الذين اختلفوا في أمرِ عيسى عليه السلام، بأسلوبٍ بلاغيٍّ حجاجيٍّ أثبت فيه القرآنُ جوازَ خلقِ عيسى من غيرِ أبٍ بجوازِ خلقِ آدمَ من غيرِ أبٍ ولا أمٍّ.

ثم أتبعَ النظمُ القرآنيُّ هذه الآياتِ مُبيِّنًا للنبيّ ﷺ ما يجبُ فعلُهُ مع المُحاجِّينَ في أمرِ عيسى عليه السلام، فقال:

مِن﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾

آمرا رسوله ﷺ أن يباهل من عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان.

قوله -تعالى-: "فمن حاجك فيه" وإن كان في نصارى نجران الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ يكلمونه في شأن عيسى -عليه السلام-، إلا أنه مصوغٌ بصيغةٍ تعمُّ كلَّ مُحاجٍّ في عيسى-عليه السلام- ممن كانوا في عهد النبيﷺ (١).

وفي قوله: (فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ) إيضاحٌ بعدَ إبهامٍ، فهي توضيحٌ للفعل (نبتهل).

وقوله : (فيه) يحتمل عوده على عيسى، ويحتمل عوده على الحق، وهو احتمالٌ يومئُ إلى التداخلِ بين الحق كما أخبر به الله -تعالى-، وبين حقيقة عيسى عليه السلام؛ ولذلك قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ

(١) مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، د/ لمهابة محفوظ ميارة، ٥٢٢، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، - المجلد ٨١، الجزء٣، د.ت.

ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾"[1]، أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا معدل عنه ولا محيدٌ[2].

وهذه الجملة الختامية﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ كان للتأكيدِ فيها أثرٌ كبيرٌ في الردِّ على المعاندين المنكرين، حيثُ بُنيت على اسمية الجملة، والتأكيدِ بإنَّ واللامِ، وضمير الفصل، وكذلك التأكيد بالقصر﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾، وهذا أبلغُ في الردِّ على النصارى وحجاجهم.

* * *

(١) السابق ذاته.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/٤٩.

الإهداء

المبحث الثاني:
ادعاء ألوهية عيسى عليه السلام والرد عليه

ادعت النصارى ألوهية عيسى عليه السلام، وقد حاجهم القرآنُ الكريمُ في ذلك، وردَّ ادعاءهم بأسلوبٍ حجاجيٍّ بليغٍ، يأتي بيانه في هذا المبحث.

الآياتُ قيد الدعوى:

ورد في القرآنِ الكريمِ أكثرُ من آيةٍ في أكثرَ من موضعٍ[1]، سأتناولُ بعضًا منها.

قال الله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

تتحدَّثُ الآيةُ هنا عن الكفرِ العامِ المطلق، لا تكفير المعيَّن، فمن لوازمِ التصريح بألوهية المسيحِ أن يكونَ ذا قدرةٍ ومُلكٍ تامَّيْنِ، وقد نقضتِ الآيةُ كلَّ ذلك؛ بأن مَنْ صرَّحُوا بألوهيَّتِهِ وهو المسيحُ لا يملِكُ لنفسِهِ شيئًا مما اتصف به الله -تعالى- من الخَلقِ والقدرةِ، ومِلكِ الضرِّ والنَّفعِ.

قوله -تعالى- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ﴾ هو حَسْمٌ مباشرٌ لقضيَّة ادِّعاءِ ألوهيَّة المسيح، ناسبه قوَّةُ التركيبِ، باستئنافِ الجملةِ، وتأكيدِها باللام الموطِّئةِ لقسمٍ محذوفٍ، ودخولِ حرف التحقيقِ (قدْ) على الفعل الماضي المسندِ إلى الاسم الموصول (الذي)، و"تعين ذكر الموصول هنا؛ لأن المقصود

(١) منها الآية رقم (١٧١) من سورة النساء، والآية رقم (٧٢) من سورة المائدة، والآية رقم (٣٠) من سورة التوبة.

بيان ما في هذه المقالة من الكفر، لا بيان ما عليه النصارى من الضلال؛ لأن ضلالهم حاصلٌ لا محالة إذا كانت هذه المقالةُ كفرًا"[١].

وجملة الصلة ﴿قَالُوٓاْ﴾ تحكي زعمَ النصارى الفاسدَ، وادعاءَهُمُ الباطلَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾، وهيئةُ التركيبِ في هذه الجملةِ مبنيَّةٌ على اسميَّةِ الجملةِ، وتأكيدِها بـ(إنَّ) التي تفيدُ حتميَّةَ ثبوتِ الخبرِ للمبتدأِ، وتأكيدِها -أيضًا- بضميرِ الفصل، وتعريفِ الطرفيْنِ المسندِ إليه والمسند بالعلميَّةِ، ثمَّ وصفِ المسندِ بعلَمٍ كذلك، ولكلٍّ دَلالَتُهُ.

فالتأكيدُ بـ(إنَّ) يدلُّ على زيادةِ تأكيدِ اتحادِ المسندِ إليه والمسند (الله المسيح ابن مريم) -في زعم النصارى-، (وفي هذا اجتراءٌ على مقامِ الألوهيَّة المنزَّهةِ عن التشبيه، وعن الحلولِ في أيِّ شيءٍ)[٢].

وتعريفُ الطَّرفيْنِ بالعلميَّةِ "يُرادُ به بيانُ أنهما شيءٌ واحدٌ"[٣]، فهما متحدان- في زعمهم أيضًا-.

والتأكيدُ بضمير الفصلِ (هو) أي "هو عينه، وهذا أقطع الكفر، وأبينه بطلانا"[٤].

الحجاج البلاغي لهذه الدعوى:

لمَّا عرضتِ الآيةُ الكريمةُ ادَّعاءَ النصارى ألوهيَّةَ المسيح، وحكت قولهمُ المزعوم، حاجَّهُمُ القرآنُ الكريمُ في ادِّعائهم، فوصْفُهُم للمسندِ بالعلميةِ ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ ينفي صحَّةَ ادِّعائِهم، وهو وصفٌ في "غاية

(١) التحرير والتنوير، ٦/ ١٥٢.
(٢) تفسير الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، ٥/ ٤٤٨.
(٣) التحرير والتنوير، ٦/ ١٥٢.
(٤) نظم الدرر، ٦/ ٥٥.

الوضوح في بطلان قولهم؛ لبعد المسيحِ عن رتبة الألوهية في الحاجة إلى امرأة، ﴿ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾، فهو محتاجٌ إلى كفالتها؛ بما لها من الأمومة"(١).

ثمَّ أتْبعَ القرآنُ الكريمُ ذلك بإيضاح حاجةِ المسيح إلى كفالةِ الأمومةِ، فقال: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾، وقد أبطلت هذه الجملةُ حُجَّةَ من ادَّعى الألوهيَّةَ؛ بأنَّ عليه أن يملِكَ شيئًا فينازعَ الآخرَ، وأن يَدفعَ الضرَّ عن نفسِهِ، وأن تكونَ لهُ قدرةٌ على الخلقِ، ولم يتصفِ المسيحُ ولا أحدٌ ممَّنِ ادَّعى الألوهيةَ بذلك؛ لذا ردَّ اللهُ –تعالى– عليهم بالحُجَّةِ الدَّامغةِ، فيا مَنْ تقولونَ بألوهيتِهِ كلا.

والخطابُ في قوله –تعالى–: ﴿قُلۡ﴾ للنبيِّ ﷺ، ردٌّ على النصارى، والغرضُ منهُ "تبكيتُهم– النصارى–، وإظهارُ بطلانِ قولِهِمُ الفاسدِ، وإلقامُ الحجرِ لهم"(٢).

ومن آليات الحجاج المُستخدَمةِ في هذه الآية الاستفهامُ الإنكاريُّ التوبيخيُّ في قوله –تعالى–: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۗ﴾، والغرضُ منه "تهويلُ الخطبِ، وإظهارُ كمال العجز ببيان أن الكلَّ تحت قهره –تعالى– وملكوته، لا يقدر أحدٌ على دفع ما أريد به، فضلا عن دفع ما أريد بغيره، وللإيذان بأن المسيحَ أسوةٌ لسائر المخلوقات في كونِهِ

(١) السابق ذاته.
(٢) تفسير الألوسي، ٦/ ٩٩.

عرضةً للهلاكِ، كما أنه أسوةٌ لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية"[1].

وتقييدُ الاستفهامِ بالشرطِ (إن) ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ يؤكِّدُ بُطلانَ ادعاءِ النصارى ألوهيَّةَ المسيحِ، ومَنْ ذا الذي يدَّعي الألوهيَّةَ، ويزعم أنه يملِكُ ردَّ الهلاكِ – إن أرادهُ اللهُ– عن عيسى وأمِّه –عليهما السلامُ– ومَنْ في الأرضِ جميعًا؟، وهذا دليلُ العجزِ، فمَنِ ادَّعى الألوهيَّةَ عليهِ أن يَمْلِكَ، والمِلكُ هنا يشملُ القدرةَ المُطلقةَ في الخلقِ، ودفعِ الضرِّ، وجَلْبِ النَّفْعِ؛ لذلك كرَّر الله ﷻ مادةَ "ملك" في قولِه: ﴿... يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا .....وَلِلَّهِ مُلْكُ..... ﴾، للدلالةِ على ذلك.

وتتجلَّى بلاغةُ وضعِ المُظهرِ موضعَ المُضمَرِ في قوله –تعالى–: ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾؛ حيثُ إنَّ مقتضى السياقِ أن يقول: (يُهلِكَهُ)، لكنه أظهرهُ في موضعِ الإضمارِ؛ "لزيادة التقرير، والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخلٌ تحت قهره وملكوته– تعالى–، ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الإنكاري عن كل أحد، مع تحقق الإلزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط، بأن يقال: (فهل يملك شيئا من الله إن أراد ... إلخ)؛ لتحقيق الحق بنفي الألوهية عن كل ما عداه – سبحانه–، وإثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني، فإن انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة إلى الكل، ظهر

(١) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٩.

بالنسبة إلى المسيح على أبلغ وجه وآكده، فيظهر استحالة الألوهية قطعا"[١].

"وتخصيص أمه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الأرض؛ لزيادة تأكيد عجز المسيح، ولعل نظمها في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك؛ لتأكيد التبكيت، وزيادة تقرير مضمون الكلام يجعل حالها أنموذجا لحال بقية من فرض إهلاكه، كأنه قيل: قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض، وقد أهلك أمه، فهل مانعه أحد، فكذا حال من عداها من الموجودين"[٢].

ومن آليات الحجاج -أيضًا- عطفُ العام ﴿ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ على الخاص ﴿ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ ﴾؛ للدلالة على عموم وشمولِ قدرةِ الله ﷻ، في كلِّ شيءٍ، ولبيان أنَّ المسيحَ وأمَّه "من جنسهم - من في الأرض جميعًا-، لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية، وأنه إذا أراد شيئًا كان لا معارض له في أمرِه، ولا مشارك له في قضائِهِ"[٣].

وجملة ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ (مؤيدةٌ لمعنى القدرة على الإبقاءِ والإهلاكِ والإحياءِ)[٤]، وجملة ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ مستأنفةٌ (في مقام الثمرة والنتيجة لما قبلها من قدرةٍ مطلقةٍ لا حدّ لها،

(١) تفسير أبي السعود، ٣/ ٢٠.
(٢) السابق ذاته.
(٣) تفسير الكشاف، ٢/ ٢١٨.
(٤) زهرة التفاسير، ٤/ ٢٠٩٨.

ومن ملكيةٍ مطلقةٍ لا قيد يقيدها، فهو يخلق ما يشاء ويريد)[1]، وهي مسوقةٌ؛ "لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في أمر المسيح لولادته من غير أب، وخلق الطير، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص؛ أي: يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد"[2].

ثمَّ خُتمتِ الآيةُ الكريمةُ بقوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ وذلك لإلزامِ الخَصْمِ بأنَّ اللهَ ﷻ هو القادرُ على كلِّ شيءٍ، فجاء ختام الآية مناسبًا لما ورد من مسألةِ إيجادِ المسيح من غير أبٍ أو إعدامِهِ، فالله له ملك السماوات والأرض، وهو الفاعل المختار، يخلقُ ما يشاءُ كيفما يشاءُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ.

وفي تقديم المتعلق بالخبر (قديرٌ)، وهو الجار والمجرورِ (على كلِّ شيءٍ) إبرازٌ لكمالِ صفاتِ اللهِ ﷻ، ودلالةٌ على اختصاصِهِ ﷻ وحدَهُ بالقدرةِ على كلِّ شيءٍ.

وتتجلَّى بلاغةُ تكرار اسم الجلالة (الله) في الآيةِ الكريمةِ أربعَ مرَّاتٍ؛ لما يناسبُه مقامُ الحِجاجِ بإثباتِ الألوهيَّة لله ﷻ وحدَه، وإفرادِهِ بالملكِ والقدرةِ، ونفي كلِّ ذلك عمن عداهُ.

وهكذا وضح حجاجُ القرآنِ الكريمِ بإبطالِ ادعاءِ ألوهيَّةِ المسيحِ، وردُّهُ على النصارى بالحُجَّةِ الدَّامغةِ، في آيةٍ واحدةٍ، تآزرتْ فيها نكاتٌ بلاغيَّةٌ، وسماتٌ بيانيَّةٌ، وتسلسلتْ جُمَلُها، وهيئاتُ تراكيبِها، حتى برز الحِجاجُ

(١) السابق ذاته.

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/ ٢٠.

العقليُّ واضحًا فيها، مُلجِئًا للخَصْمِ إلى تصحيحِ اعتقادِهِ الباطلِ، وتسليمِهِ بالبراهينِ والأدلةِ.

المبحث الثالث:
آيات الحجاج الواردة في إبطال معتقد النصارى في صلب المسيح وقيامته

ادَّعت النَّصارى أنَّ عيسى عليه السلام (استطاع أن يُكفِّرَ عن البشرِ جميعَ خطاياهم؛ حيثُ مكَّن اليهودَ منه، وصلبوه على الصليبِ، فرفعَ عنِ البشرِ الخطيئةَ التي ألحقها آدمُ بهم، وأخرجهم من النارِ؛ لأنَّ الناسَ -في زعم النصارى- كانوا في جهنَّمَ قبلَ صَلْبِ المسيحِ، بسببِ خطيئةِ آدمَ، حتى أرواح الأنبياءِ والرسلِ -عليهم السلامُ-)[1].

وقد أبطلت هذه الآياتُ الكريمةُ الآتيةُ تلك الدعوى، وحاجَّهُمُ القرآن في ادعائهم.

الآياتُ قيدُ الدعوى:

يقولُ الله تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء:١٥٥- ١٥٨].

تتحدَّثِ الآياتُ عنِ المُخالفاتِ العقديَّةِ التي وقع فيها اليهودُ؛ وذلك لسؤالهم رسولَ اللهِ ﷺ أن يُنزِّلَ عليهم كتابًا من السماء، فشُقَّ ذلك على رسول اللهِ ﷺ؛ فنزلتِ الآياتُ تسليةً للنبيِّ ﷺ، وتثبيتًا لقلبِهِ، لأنَّ هذا من طبعِ اليهودِ وديدنهم، فإن كانوا سألوا الرسولَ ﷺ ذلك، فقد ﴿سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ

(١) يُنظر: مشكلات العقيدة النصرانيَّة، ١٤٨.

﴿ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣]، وذلكَ لأنهم جُبِلوا على الماديَّة الحسيَّةِ، فلم يرتضوا أن يعبدوا إلهًا غيرَ مُجسَّدٍ، فما أن سنحت لهمُ الفرصةُ اتخذوا العجلَ من بعد ما رأوا الآياتِ والمعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه السلام.

ومن صُورِ مخالفاتِهم وتعدِّيهم كُفرُهُمُ المتكرِّرُ بئاياتِ اللهِ في قُدرتِهِ؛ فلم يُصدِّقوا خلقَ المسيحِ من دونِ أبٍ؛ فرموا مريمَ ببهتانٍ عظيمٍ، ثمَّ تفاخروا بأنَّهم قتلةُ الأنبياءِ، وسفكةُ الدِّماءِ، فقالوا: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾، وكأنَّهم يتهكَّمون من عيسى، ويقولون: (إن كنتَ رسولَ اللهِ، فلْيُنجِّكَ اللهُ من أيدينا)، فنزلتِ الآياتُ، وحاجَّتْهُم بأنَّهم ما قتلوه وما صلبوهُ، ولكنَّ اللهَ -تعالى- ألقى على يهوذا الشَّبَهَ، وهو الذي دلَّ اليهودَ على عيسى عليه السلام، فكان الجزاءُ من جنس العملِ، حيثُ ألقى اللهُ شَبَهَ عيسى عليه، ثمَّ كان أمرُ اللهِ قدرًا مقدورًا، فرفع عيسى إليه، وكان اللهُ عزيزًا حكيمًا.

وتتجلَّى بلاغةُ هذه الآيات الكريمة، وإعجازُ نظمها في عرضِ مخالفاتِ اليهودِ، في تسلسلٍ بليغٍ، فهي جامعةٌ لجرائمِهِمُ المعدودةِ، من نقْضٍ للميثاقِ، وكفرٍ بئاياتِ الله، وقتلٍ للأنبياءِ بغيرِ حقٍّ، وتَقوُّلٍ على المسيحِ وأمِّهِ، وادِّعاءٍ بقتل المسيحِ، وكلُّ هذه الجرائمِ والمُخالفاتِ المعدودةِ جاءت هيئةُ تركيبِها في صورةِ المصدرِ الصريحِ المُضافِ إلى ضميرِ اليهودِ، ثمَّ تعلُّقِ المصدرِ بقيودٍ لتربية الفائدةِ وتقويتها، فتزيدُ التركيبَ إيضاحًا وتخصيصًا.

قوله -تعالى-: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ الفاءُ فيه للتفريعِ على قولِهِ: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء: ١٥٤]، والباء للسببية جارة لـ (نقضهم)، و"ما" مزيدة لتوكيدِ التسبب، أي: "فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك، فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم"(١).

والسرُّ البلاغيُّ في حذف متعلق قوله:(بما نقضهم)؛ لتذهب نفس السامع في مذاهب الهول، وتقديره: فعلنا بهم ما فعلنا(٢).

الحجاج البلاغي لهذه الدعوى:

تتجلَّى بلاغةُ تكرارِ المصدرِ "كفرهم"؛ "تأكيدًا على تأصُّل الكفر في نفوسِ هؤلاء اليهودِ، وإيذانًا بتكرُّرِ كفرهم في كلِّ جيلٍ؛ حيثُ كفروا بموسى، ثمَّ كفروا بعيسى، ثمَّ كفروا بمحمدٍ ﷺ، ثمَّ لا يزالُ كفرُهُم يتجدَّدُ عبرَ الأجيالِ، إلى أن يلقوا ربَّهم وهم على ذلك"(٣).

ووصف البهتان بكونه عظيمًا؛ "للمبالغة في عظمِ هذه الفرية التي افتروها على مريم، حيث رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانيةً، وقد حملت بولدها من ذلك"(٤).

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بنى هذا الادعاء على جملةٍ اسمية مؤكدة بإن والإخبار بالفعل الماضي الدال على تحقق الوقوع، والضمير المتصل (نا) الذي يؤكد كبرَهم ومعاندَتهم وتبجحَهم.

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٥١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٦/١٨.

(٣) تفسير أبي السعود، ٢/٢٥١.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢/٢٧٣.

وقوله: "وقولهم" معطوفٌ على قوله: "وبكفرهم"، و"الوصل بينهما للمغايرة؛ لأن كفرهم هو إنكار لقدرة الله ﷻ، وقولهم هو نسبهم إياها -مريم- الزنا، ولمَّا حصل التغيير، لا جرم حسن العطف"(١).

وقد ذكر اليهودُ عِيسَى عليه السلام بِعُنْوَانِ الرِّسَالَةِ ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ تَهَكُّمًا وَاسْتِهْزَاءً؛ لأنهم ينكرونها ولا يعترفون بأنه نبي(٢).

وقيل: هو استئناف منه؛ مدحًا له عليه السلام، ورفعًا لمحله، وإظهارًا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله، ونهاية وقاحتهم في تبجحهم(٣).

وقد حاجَّهم القرآنُ الكريمُ، وكذَّب ادِّعاءَهم بالجملةِ الحاليةِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، التي نفت كلا من القتل والصلب المزعومَيْن عن عيسى عليه السلام، وفي حيّزها القصرُ بطريق العطف بـ "لكن"، والذي يُشترطُ فيه تقديمُ النفيِ، وقد نصَّ القصرُ بالعطفِ على نفيِ القتلِ والصلْبِ عن المسيحِ عليه السلام، وإثباتِ التشبيهِ ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، في نَسَقٍ واحدٍ؛ حيثُ قُصِرَ القتلُ والصلبُ على شبيهِ عيسى عليه السلام، قصرَ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا حقيقيًّا أفاد تقريرَ القولِ بعدمِ وفاةِ المسيحِ وتأكيدَهُ، ولذا فإنَّ (أسلوبَ القصرِ يتميَّزُ بالأناةِ والمَهَلِ، وبُطءِ الإيقاعِ، وإثارةِ التَّعقُّلِ الرَّزِينِ؛ تثبيتًا للمعنى، ونقشًا للصورةِ في الذهنِ؛ لأنه غالبًا أمرٌ

(١) مفاتيح الغيب، ٧٨/١١.
(٢) فتح القدير، ٣٤١/١.
(٣) تفسير الألوسي، ١١/٦.

خطيرٌ)[1]، وهو نفي الادعاء المكذوبِ عن المسيحِ عليه السلام؛ وذلك (لأنَّ الصَّلْبَ فيه قدرةٌ من الصالبِ على المصلوبِ، فكيف ينقلبُ الإلهُ مقدورًا عليه من مخلوقٍ؟)[2].

وقد بُنيَ الفعل "شُبِّهَ" للمجهولِ؛ "وهو مسندٌ إلى ضميرِ المقتولِ الذي دل عليه (إنا قتلنا) أي: (شبه لهم) من قتلوه بعيسى عليه السلام، أو الضمير للأمر، و(شبه) من الشبهة، أي: التبس عليهم الأمر بناء على ذلك القول، وليس المسندُ إليه ضميرَ المسيح عليه السلام ؛ لأنه مشبه به لا مشبه"[3].

ويأتي العطفُ بعد ذلكَ لتأكيدِ شكِّ النصارى في قتله عليه السلام؛ إذ إنَّه "لما أفهم التشبيهُ الاختلافَ؛ فكان التقديرُ: "فاختلفوا بسبب التشبيه في قتله؛ فمنهم من قال: قتلناه؛ جازما، ومنهم من قال: ليس هو المقتول، ومنهم من قال: الظاهر أنه هو"، عطف عليه قوله – دالا على شكهم باختلافهم- ﴿... وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ... ﴾ أي: في قتله، لفي شك منه، أي: تردد مستوي الطرفين كلهم، وإن جزم بعضهم، والمراد من الموصول ما يعم اليهود والنصارى جميعا[4].

ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ ... مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ ﴾ و"مِنْ" هنا استغراقيَّة لتوكيدِ عمومِ النفيِ[5].

---

(١) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صبَّاح عبيد دراز، ٢٥٣، مطبعة الأمانة بشبرا مصر، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) مريم والمسيح، للشيخ محمد متولي الشعراوي، صـ ٨٠، جمع وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، د.ت.

(٣) تفسير الألوسي، ١١/٦.

(٤) تفسير الألوسي، ١١/٦.

(٥) من الوجوه التي تأتي عليها (مِنْ) الجارة: توكيد العموم، وهي الزائدة في نحو: "ما جاءني من أحدٍ"، وشرطُ زيادتها تقدُّمُ نفيٍ أو نهيٍ أو استفهامٍ

و"لما كانوا يكلفون أنفسهم اعتقاد ذلك بالنظر في شهادته، فربما قويت عندهم شبهة، فصارت أمارة أوجبت لهم – لشغفهم بآمالها – ظنا، ثم اضمحلت في الحال، لكونها لا حقيقة لها، فعاد الشك، وكان أبلغ في التحير، قال :إلا ؛ أي: لكن اتباع الظن ، أي: يكلفون أنفسهم الارتقاء من درك الشك إلى رتبة الظن"(١).

واختار النظمُ القرآنيُّ التعبيرَ بأداة الاستثناء (إلا) دون "لكن" الموضوعة للانقطاع؛ "إشارة إلى أن إدراكهم لما زعموه من قتله، مع كونه في الحقيقة شكا، يكلفون أنفسهم جعله ظنا، ثم يجزمون به، ثم صار عندهم متواترا قطعيا، فلا أجهل منهم".

ولما أخبر بشكهم فيه بعد الإخبار بنفيه، أعاد ذلك على وجهٍ أبلغَ، فقال: ﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ أي: انتفى قتلهم له انتفاء يقينًا، على سبيل القطع؛ ويجوز أن يكون حالا من "قتلوه"، أي: ما فعلوا القتل متيقنين أنه عيسى عليه السلام، بل فعلوه شاكين فيه، والحق أنهم لم يقتلوا إلا الرجل الذي ألقي شبهه عليه، والوجه الأول أولى؛ لقوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ...﴾:" (٢).

﴿ ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ...﴾ هذا القصر هو تأكيدٌ للمعنى السابق، وفيه قصر الله تعالى حال عيسى وما آل إليه أمره على الرفع إلى السماء دون غيره، وهو قصر موصوف على صفة قصرًا حقيقيا، وقع ردًّا لما ادَّعوه من قتل المسيح وصلبه.

بهل، وتنكيرُ مجرورِها، وكونُهُ فاعلا، أو مبتدأً، أو مفعولا به، ينظر: مغني اللبيب، ٣٣٥/١.

(١) نظم الدرر، ٤٦٥/٥.

(٢) السابق ذاته.

ومن أساليب الحجاج الاستعارة في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾، ففيه استعارة مكنية، حيث شبه الظن بالقائد الذي يُتَّبَعُ، ثمَّ حذف المشبه به، ورمز إليه بشيٍ من لوازمه، وتكمنُ بلاغةُ الاستعارةِ في المبالغةِ في شدة تمكن الظن من هؤلاء اليهود واستقراره في نفوسهم.

والاستعارة (تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارًا؛ لارتباطها بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية)[1].

ومن الحجاج أيضا ختم الآية بالتذييل في قوله-تعالى-: ﴿ ... وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، فالله ﷻ عزيزٌ "أي منيع الجناب لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه" حكيمٌ (أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم)[2]، والتذييلُ له دورٌ كبيرٌ في بلاغةِ التراكيبِ، حيثُ يُؤكِّدُ مفهومَ الكلامِ السابقِ، ويربطُ بين أجزائِهِ، وختمُ الآيةِ بهاتينِ الصفتيْنِ ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ مناسبٌ تمامًا لما جاءَ في ثناياها، من ادعاءٍ لصلب المسيح وقتله، وردِّ القرآنِ برفعِهِ.

* * *

(١) اللغة والحجاج، ١٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤٥٠/٢.

الخاتمة

- للحجاج أهميةٌ كُبرى وغايةٌ عظيمةٌ في استمالة المخاطب وإقناعِه والتأثير فيه.

- استخدم القرآن الكريم أسلوبَ الحجاج في إثباتِ نبوةِ عيسى عليه السلام؛ نظرًا لما يقومُ به هذا الأسلوبُ من دورٍ فعَّالٍ في توجيه الخطابِ، وصولا إلى الحقِّ والصواب.

- يعتمد الخصمُ في عرضِ حُجَّتِهِ على أساليب قويَّة؛ مُستخدمًا التأكيدَ، والاستفهامَ الإنكاريَّ، والتعجبَ، وغيرَ ذلك، ثمَّ تأتي الحُجَّةُ البالغةُ من القرآنِ معتمدًا على أسلوبٍ قويٍّ تقومُ هيئاتُ تراكيبِهِ على جُملٍ مشتملةٍ على كثيرٍ من النكاتِ البلاغيَّةِ، فتبهتُ الخصمَ، وتردُّ عليهِ ادعاءَهُ.

- دحض القرآنُ الكريمُ حجج النصارى الباطلة، وادعاءَهم الكاذب بتأليه المسيح، وأثبت بشريته بالحجاج البلاغي بالأساليب البلاغية التي جمعت بين وضوح المعنى، ودقة التعبير، وصولا إلى نتائج صحيحة قوية في الإقناع والتأثير..

- أبطل الله –عز وجل– زعم اليهود، ورد افتراءهم بشأن قتل المسيح وصلبه، وأثبت القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام ما قتل وما صلب كما ادعوا.

- استخدم القرآن الكريم في الحجاج أساليب بلاغية متنوعة تعالج نفسية المحاج، وأحوال الخصوم، ومقام المحاجة وخطبها؛ مما يلزم الخصم بالتخلي عن شبهته، وتبرئته منها شريطة أن يتخلى فكره من

موانع التسليم كالمكابرة، والمعاندة، فتتهافت مدلولات شبهته، أمام البراهين المتنوعة التي استخدمها القرآن.

- الحجاج البلاغي وجهٌ من وجوهِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، حيث إنه يثير العقل، ويلزم الخصم، بإقامة الحجة، بما يتسم به البيان القرآني من حجج دامغة مبنية على البراهين العقلية والأدلة القوية، تُلجئُ الخصم إلى التسليم، والعودة إلى قواعد الفكر المستقيمة، فتسكن نفس الخصم، ويسلم قلبه لأمر الوحي القرآني.

- اعتمد الحجاج في رد دعوى تأليه المسيح على البراهين العقلية، والأدلة العلمية، وهذا أساسٌ من الأسسِ التي يُبنى عليها الحجاجُ.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

٢. أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د/ صبَّاح عبيد دراز، مطبعة الأمانة بشبرا مصر، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط٢، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م.

٤. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ط٦، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآنِ بالقرآن، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، د.ت.

٦. بديع القرآن لابن أبي الاصبع المصري (٥٨٥- ٦٥٤هـ)، تحقيق د/ حفني محمد شرف، ط٢، دار نهضة مصر للطباعة.

٧. بلاغة الحجاج النبوي في صحيح مسلم، د/ عبد المحسن محمود أحمد منصور، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، ٢٠١٤م.

٨. التعريفات للجرجاني، تحقيق: محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٣م .

٩. تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٠. تفسير الألوسي، شهاب الدين السيد محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١١. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٢. تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت.

١٣. تفسير الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، الشيخ محمد متولي الشعراوي.

١٤. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ت ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى السيد محمد، وآخرون، مؤسسة قرطبة- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥. التفسير الكبير، للإمام العلامة فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ.

١٦. زهرة التفاسير، للإمام محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، د.ت.

١٧. فتح القدير الجامع بين فنَّيِ الروايةِ والدِّرايةِ من علمِ التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكانيّ ت١٢٥٠هـ، دار المعرفة بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٤م.

١٨. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، بتصرف، دار الشروق- القاهرة، ط٣٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٠. قراءة في الأدب القديم، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة،

القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة العبيكان- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢٢. لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف- القاهرة.

٢٣. اللغة والحجاج، د/ أبو بكر العزاوي، العمدة للطباعة - الدار البيضاء، المغرب ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

٢٤. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير(٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٥. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٦. مريم والمسيح، للشيخ محمد متولي الشعراوي، جمع وترتيب عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، د.ت.

٢٧. المستوى البلاغي في سورة مريم، د/ فيصل حسين طحيمر غوادرة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، يناير، ٢٠٠٩م.

٢٨. مشكلات العقيدة النصرانية، د/ سعد الدين صالح، دار الأرقم للطباعة، الزقازيق، ط٣، ١٩٩٢م .

٢٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري المصري المتوفى سنة ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع- القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق مصطفى

العدوي، مكتبة فياض – المنصورة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣١. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، د/ لمهابة محفوظ ميارة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، - المجلد ٨١، الجزء٣، د.ت.

٣٢. من أسرار حروف العطف، د/ محمد الأمين الخضري،مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٣٣. المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي (٤٠٣-٤٧٤هـ)، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٣٥. وشي الربيع بألوان البديع، د/ عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

* * *